# عائم في لندن

قصة بقلم يوسف شرورو

أكلت عيناه الصغيرتان ، التقاطيع التي كانت نضرة في وجهي ثم قال بغضب :

ـ الى أين ؟؟

فلت بصوت كسول : ـ محطة « سويس كوتج » من فضلك .

غاب قليلا ، ثم عاد ليقذف امام وجهي ، تذكرة كرتونية صغيرة . لم يبتسم . لم يقل شكرا كعادته . ألقيت نقودا انكليزية ثقيلة على حافة الشباك ، وهرولت ليحملني السلم المتحرك ويلقي بي في داخل النفق العميق في محطة « اكسفورد سركيس » .

عيون الناس تدور بحركات رتيبة لا حياة فيها . شاب اسود يقف في ركن معتم ، ويغني اغنية افريقية حزينة . الاعلانات الملونة الجميلة، تدعو الناس لشراء زجاجات الويسكي والبيرة . امرأة عجوز تتأملني وتبتسم لي من بعيد . شاب صغير لم ينبت الشعر في ذقنه الاملس ، دفن وجهه ، وراح يقبل فتاة شعرها احمر مصبوغ . أحد السكارى يتقدم نحوي ويقول بلهجة حزينة جدا :

ـ أعطني سيجارة أرجوك .

صوت القطار الرمادي يهدر من بعيد . انه قطاري الذي سيضعني في جوفه عما قليل . العالم يحتضر ويموت . لندن ليلها مخيف لانسان حائم . القطار يقف امامي ، اخترت مقعدا وجلست . في جيبي الداخلي ثنام رسالة عربية فيها نقود وكلمات حب . كم أحببت صباح هذا اليوم . ساعي البريد سأل عن اسمي . وزعقت « جين » بصوت رجولي : ـ ياسين لك رسالة مسجلة من دمشق . وغمرتني موجة دافئة ، شلال حنان تدفق من بين جدران غرفتي الورقية الملونة . السؤال في فمي يرتجف خائفا . من ارسل الي هذه الرسالة ؟ لقد نسيني الجميع . لم يكتبوا لي منذ زمن طويل . النور الضئيل الذي كان يتسرب الى حياتي من شقوق صغيرة ، مات وتوارى خلف بيوت عربية في بلادي . الغربة أكلت النور من عيني ، وجعلتني أقف الساعات الطوال في معمل انكليزي للاسمنت ، لادفع اجرة غرفتي الصغيرة ، وقسط الكلية السنوي ، ولاشتري كتابا وجريدة ورغيفا كبيرا يكفي لعدة ايام . لم يرسلوا لي اية رسالة حلوة ، عريشة كلماتهم الخضراء ، جفت وذبلت وابتلعتها الارض . لم استطع ان ارش لهم ابتسامات متألقة .

وعادت « جين » لتصرخ بصوتها الخشن : ـ ياسين ، الرسالة فيها نقود .

يدي كانت ترتعش ، الرسالة قارب ازرق صغير ، حمل الي الامل والحب ، رائحة كوجه فتاة دمشقية تسير حالمة في شارع بغداد المظلل بأشجار خضراء ، لم لا اقبلها ؟ ففيها رائحة من بلادي .

ـ افتح الرسالة بسرعة ، انك تقتلني بهذه الرومانسية الشرقية .

خمسون جنيها ، لم لا أرقص ؟ احتضنت « جين » وطفت بها داخل المطبخ الصغير . قلت بصوت فرح :

ـ سأدفع لك اجرة الغرفة ، وسنأكل دجاجة نصف كبيرة ، وسأشتري قميصا جديدا . رسم الامتحان سأدفعه غدا . لن اذهب الى المعمل البغيض لمدة اسبوعين . وسأحضر معي علبة دخان كبيرة ، ثنام داخلها عشرون سيجارة ، والان أعطني سيجارة يا « جين » .

ابتسمت اللعينة ، وقدمت لي السيجارة الفاخرة . قالت وهي تبتسم :

ـ أنا أفهمك جيدا ايها العربي .

الشيك لم اصرفه ، فالبنوك مغلقة ، والساعة بعد العاشرة ليلا . سيدة انكليزية تقتعد الكرسي المقابل لي . نقلت فخذها الايمن وأراحته على الفخذ الاخر ، الشعر الاسود يتطاول بحلاوة في رجليها . المحطة الثانية ، محطتي . الاحرف اللاتينية الكبيرة كانت تعلن عن محطة « سويس كوتج » . سرقت نظرة قصيرة الى فخذي السيدة الانكليزية ، وسرت نحو سلم متحرك اخر ، قاذفا بي هذه المرة الى سطح الارض . أعطيت التذكرة لامرأة زنجية بدينة ، ابتسمت لي بشفافية حنونة كبسمة طفل رضيع .

الشارع العريض يغسله مطر منعش خفيف . النقود في جيبي لا تكفي ثمنا لفنجان قهوة . الشيك سوف أحوله الى جنيهات غدا في الساعة التاسعة صباحا . بيتي في ضاحية قريبة من لندن ، اخترتها لرخص الحياة فيها . ثمن تذكرة العودة لا أجده . سأقضي ليلتي هذه في مقهى « الروليتا » حيث اقتل الوقت بالحديث مع الشباب المتمرد . أعرف صديقا عربيا يسكن في هذه المنطقة ، ويدرس الاقتصاد السياسي في جامعة لندن ، ولكن الدخول الى غرفته يجب ان يكون قبل العاشرة ليلا . لندن مقرفة في قانونها الكئيب حول الزيارات الليلية . بائع الجرائد الليلية ينادي بصوت معتق كالخمر الذي شربه . سيارة جاكوار بيضاء حاولت سحقي ، وأطل صاحبها المصاب بالشذوذ الجنسي ليعتذر ، ويدعوني الى حفلة شراب في حانة « الكلب الاسود » قلت له بجفاف :

ـ صوتك ممطوط بارد لا احبه .

أضواء « الروليتا » الشاحبة ، تقترب مني . الباب الخشبي بلا زجاج . حلقات صغيرة ، من الشباب الانكليزي يتحدثون عن اخر كتاب أخرجته المطبعة لكولن ويلسون .

قال شاب وجهه كبوز كلب :

ـ ويلسون انتهى ، التزم الدفاع عن المصابين بالشذوذ الجنسي، ودار حوله في كل كتبه . ويلسون مات كواحد منا . انه يسكن في فيلا انيقة في « هامستيد هيث » وقد باع خيمة التشرد .

وقام « أريك » ليرحب بي بوجه ضاحك أحب فيه استقامة أنفه وقال بسرعة :

ـ أيها العربي ، بلادك أعطتني شحنة من حياة ، بلادك ما زالت تصنع الثورة ، وتكتب الشعر البطولي الجميل . اليوم قرأت قصيدة عربية ، جعلتني أرتجف ، وأتحول الى حشرة سوداء .

وابتسمت له . « اريك » يدرس الادب الانكليزي في جامعة لندن ، ويرخي شعره الاشقر القذر ، ويربي قذارة متعفنة تحت اظافره الطويلة . قال معرفا افراد حلقته :

ـ « لوسي » من اكسفورد تدرس الفلسفة ، وتكره المساحيق النسائية . « باري » تعرفه منذ القديم ، انه متقاعد عن العمل ، والحكومة تدفع له ثمن القهوة والسجاير . « فكتور » يسرق لنا الطعام، ويكتب القصص القصيرة عن حياتنا . وهذه « باتريشا » صغيرة من « مانشستر » تعمل في أحد البنوك ، وتصرف لنا ثمن الحليب

العصبـاحي .

ثم قال بلهجة خطابية : ياسين ، عربي ، يؤمن بالثورة ، ويدرس القانون الدولي ، ويحفظ اشعارا عالمية يرف لها انسان العين .

وجلست بينهم ، وجاءني صوت فيه طفولة محببة قائلا :

ـ الحياة هي أن تعيش . ت.س. اليوت ، متعجرف لا يفهـــم ما يكتب . أنا لن انسى بأنني امرأة وجســـدي شبق . الخجل يعيش في النصف الثاني من الكرة الارضيـــة . سأدعو كل انسان تجذبنـي رجولته الى سريري .

وضحكت وجوه ، وتطايرت نقاط فنجان قهوة ، وذهب شـــاب ليحرك اسطوانة حب همجي .. وجاءت فتاة جسمها لوحة سرياليـــة وسألتني عما اريد . قلت وأنا أتفرس في وجهها الجميل :

ـ قهوة سوداء .

البوليس الطويل ، يحوم بخفة حول المقهى ، وينظر بعينين ثعلبيتين الى الوجوه . الشارع خارج المكان ، خامد لا حياة فيه ، زخات المطر لم تنقطع . الليل في لندن يرعبني ، ويشل حركة دمي . لندن أحبها وأنام متسكعا على مقاعد محطاتها . السماء التي ترتفع فوقها ، كئيبة حزينة ، تبكي باستمرار ، ونوافذ بناياتها تحجبها عن العالم الخارجي ستائر سميكة تقتل الضوء ، وتمنعه من التسرب .

فتاة المقهى السريالية تحضر القهوة ، وتأخذ « شلنا » مدورا . لوسي طالبة الفلسفة تسأل بصوت ناعم :

ـ ماذا تفعل هنا أيها العربي ؟

وصدمني السؤال ، وحملني بعيدا الى بلادي النيسانية الرائعة ، حيث يصنعون الايام ، ويبتسمون بحب اخضر ، ويشربون الشـــاي الاحمر الغامق ، ويأكلون الكبة النية ، ويرشون زيت الزيتون عـــلى صحون الفول . أمي هناك تبكي ولدا لم تره منذ سنين ، والاصدقـاء يمضغون الهواء في مقهى « الهافانا » ويحلمون بالمجد العريض ، وأنا أعيش وحيدا كنبتة صحراوية مرة لا حياة فيها . الحياة تتقاذفني ، تركلني كل يوم جـــديد ، الى مدينة اوروبية جديدة ، الى وجـــوه جديدة ، أعيش متفرجا ومراقبا وحالما بعودة زاهية ، كعودة الابطال .

وجاء السؤال مرة ثانية :

ـ ماذا تفعل هنا ايها العربي ؟ هل انت بخير الان ؟

ـ أحمل في داخلي ، أملا صغيرا قد ينمو فيتطاول كسهول القمح الخضراء في بلادي ، وأحيانا أعيش أياما متشابهة كأيام سجين أبدي . أحاديث لا لذة فكرية فيها . وجوه مارة كمرور يوم شتوي . لنـــدن يا « لوسي » تذكرني بكل الوجوه التي أحبها وسأبقى أحبها . لندن صنعت مني غريبا لا يعرف الاستقرار .

علامات الاستفهام الغريبة ، ارتسمت بوضوح على وجوههم الشابة . تبرع « أريك » بالحديث وقال ويده تلعب بعلبة كبريت فارغة :

ـ ياسين عربي ، والعرب احاديثهم عميقة ، تحمل عدة معـان . الفلسفة هم أول من شرحها وكتب عنها . ياسين يشعر بالتمزق وبالحزن لانه يعيش هنا . وفي بلاده يعيشون حياة ثورية جديدة ، يقـــودها كل الشباب . انها ـ كما قال لي ـ خطوة ثابتة وجديدة نحو مدينته : ياسين ، من فلسطين التي تسمى الان « اسرائيل » . وهو يـــدرس القانون الدولي الان .

الدائرة الحضورية لم أعد أعيشها في « الروليتا » المدن الكثيرة التي عشت فيها برزت أحرفها امام وجهي وعلى جدران المقهى . أنـا فقدت كل شيء يجذبني للحياة ، كنت اعيش في مدينة صغيرة ، رائعة بستانية المظهر ، اناسها طيبون لا يأكلون بعضهم بالسنة حادة . ثم حدثت هجرة جماعية كهجرة اسراب من الطيور الصغيرة الخـــائفة ، وذهبت الى مدينة تاريخيـــة قديمة ، أناسها قلوبهم خضراء حـــلوة كأوراق الشجر . المدينة كانت دمشق ، وكانت لي فيها حيـــوات ، واصدقاء ، وبلاطات رصيف نظيف ، ومقبرة اقضي فيها اوقاتي مـع صديق يكتب القصص المغلفة بالحزن ، ويؤمن بأن العالم سيغـرق . واخذت شهادة ، وذهبت لاعمل في بلاد جافة أعطتني المال الكثيـر . وحملتني باخرة ، ثم طائرة الى مدن اوروبية مخيفة ، أطعمتني الغربة الرمادية الكئيبة ، وزرعت في داخلي ، حنانا وشوقا وحبا لبـــلادي المستلقية خلف البحار الزرق الداكنة .

وسمعت فكتور يقول :

ـ كل صباح أيها الاصدقاء اسأل الحشرة البشعـــة التي تعيش في داخلي ، ماذا فعلت البارحة ؟؟ وتبتسم الحشرة بسمة فيها سخرية قاتلة ، وتجيب « سأبقى طيلة عمري حشرة » . كيف اقتل هـــذه الحشرة ايها الاصدقاء ؟

واقترب مني وهمس :

ـ قل لي كيف أقتلها فهي تمتص حياتي بشراهة مرعبة !

ـ اقرأ روايـــة كافكا المسمـــاة « المسخ » وعنـدها ستموت حشرتك اللعينة .

وانتفضت باتريشا التي تسجل الارقام في أحد البنوك قائلة :

ـ أنا لا أثق بأي وجه يتوسطه أنف غير مستقيم . كافكا يهـــودي أنفه أقنى لا يبعث الثقة في نفسي . كافكا كان حشرة قتلته بشاعته .

أجاب « باري » المتقاعد الابدي :

ـ باتريشا . انك تحملين لسانا حادا كحجر صوان كما قـــال لوركا . وانت ايضا حادة وعقيمة كأشواك الصحراء .

ـ أنا أعرف لماذا تطلق علي لقب « عقيمة » ! قلت لي بأنني فتـاة بدون خبرة . انت الذي كنت تبكي كالطفل الاخرق عندما ماتت رجولتك في سريري . أنت لا تنفع لمضاجعة الفتيات ، أنفك غير مستقيم لا أثق فـي حامـله .

وضحكنا . وماتت الابتسامة على وجـــه « باري » وقام ليحضر


# مؤلفات سارتر

* **دروب الحرية**

رائعة سارتر باجزائها الثلاثة

١ ـ سن الرشد ٥٥٠ ق.ل

٢ ـ وقف التنفيذ ٦٥٠ ق.ل

٣ ـ الحزن العميق ٥٥٠ ق.ل

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

* **الغثيـــان**

اعمق روايات سارتر ٣٥٠ ق.ل

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

* **محاورات في السياسة**

بالاشتراك مع روسيه وروزنتال

ترجمة جورج طرابيشي ٢٠٠

* **عاصفة على السكر ( ط ٢ )**

ترجمة عايدة مطرجي ادريس ٣٠٠

* **عارنا في الجزائر**

ترجمة عايدة وسهيل ادريس ١٠٠

سجائر جديدة من آلة البيع . وذهب « اريك » ليدخل حديث الجنس ليدلل على رجولته فقال وهو ينصب قامته الطويلة :

ـ انا اذكرها دوما ، كانت من جنيف . كان فمها شهوانيا . عيناها كبيرتان ضائعتان في البعيد البعيد . أطبقت بعنف مؤلم على شفتي ، ذكرتني « بالمركيز دي ساد » ، انتزعت من داخل فمي لسانها. ذقت عسل فمها ، كانت مغمضة العينين . أحسست بأنني أموج كالبركان . قمت ، اغتسلت ، دخنت لفافة تبغ ، ثم سمعنا موسيقى . كانت امرأة تعرف أين يختبىء الرجل الفحل !

قلت بصوت حزين :

ـ اسمعوا يا جماعة . عندما كنت أعيش في بلادي فكرت بأن المطر والضباب والحياة الاوروبية ، سوف تزيل الادران العالقة في جسدي ، ولكن بعد أن عشت هنا ، أعتقد بأن الشمس التي تحتضن بلادي هي خير من يغسل الادران التي حملتها من اوروبا ، لذا أفكر الان بالعودة .

وقال صوت لرجل عجوز كان يجلس خلفنا ويستمع الى احاديثنا :

ـ أنتم تعيشون في شفافية كالفراشات الملونة . ومن بلادكم سوف تنطلق الحضارة الحديثة . أما نحن فنعيش كأسراب الجراد التي تأكل كل الحيوات . نحن نعيش في بلاد السردين المعلب .

قال فكتور بصوته العميق :

ـ لا تقرأ قصصا اميركية المحتوى ، اقرأ عن النمل البشري الذي ينظم صفوفه في محطات « الاندر غراوند » اللندنية .

أجاب العجوز بسرعة :

ـ وجهك منتفخ كوجوه الكسالى . وداعا يا كسول .

البوليس الطويل ما زال يحوم حول المقهى ، والحلقات بدأت تتبعثر في شوارع « سويس كوتج » و « فنشلي رود » . موعد الاغلاق اصبح قريبا . الساعات في أيديهم قديمة ولكنها جيدة ، الواحدة بعد دقائق و « أريك » ما زال يقول بلهجة جامعية مثقفة :

ـ الحياة ماذا ؟؟ هل سألتم أنفسكم هذا السؤال الضخم الذي يحمل سخفا عميقا في داخله ؟ الحياة ماذا ؟؟ قال لي احد الرجال يوما بأن الحياة شجرة نبتت ميتة . ولكن لضعف فينا وضعنا لها سمادا ، سقيناها ماء ، وسيجناها عنبا ، ووضعناها تحت بصرنا . الله نحن الذين أوجدناه . الاخلاق كتبنا عنها الكثير حتى نحفظ انفسنا من الانهيار . القانون وضعناه حتى نوجد المحاكم والقضاة والمحامين .

وجدت نفسي اجيب :

ـ الحياة ماذا يا « أريك » ؟؟ أنا أعرف بأن الدنيا والناس هم الحياة . أنتم هنا تهرولون كدواليب مهترئة نحو نهاية الممر دون التعمق او النظر . الحياة ممر ضيق ، على جانبيه أبواب ماونة بألوان مختلفة . حاول ان تطرق جميع هذه الابواب . ادخلها . اكتشف أسرارها . عش مع اناسها . وعندما تصل نهاية الممر ، تكون قد رأيت الحياة .

وهمست فتاة المقهى السريالية :

ـ وهنا انتهت ساعات أحاديثكم . سنغلق .

الليل في الخارج ممطر ، وأعمدة كهربائية تلقي ضوءا ذابلا ، وبوليس طويل ، وحلقات تتبعثر ضاحكة تبحث عن أمكنة اخرى لتقضي فيها وقتا عابثا بلا محتوى .

وسرت وحيدا ، مرة ثانية ، لا احمل نقودا لانام في فندق رخيص، وأصدقائي نيام في غرفهم الفقيرة العارية ، وغرف الانتظار في محطات القطار تستقبل امثالي ممن لا يجدون أمكنة فيها فراش ومخدات . المسافة بين « سويس كوتج » وأقرب محطة قطار ، تأخذ مني سيرا على قدمين طويلتين ، أكثر من ساعة زمنية .

ورسمت خطة . السير الى « بيكر ستريت » ثم الى محطة « بادينكتن » . عربات التاكسي السوداء ، تمر مسرعة كتوابيت مغلقة. أبي كان طويلا ، وفمه يشرق ببسمة صباحية .. أذكره ذاك الصباح . قالوا لي : « قم لقد مات ابوك . انت يتيم . انتم ايتام » . كنا صغارا ، السنوات العشر لم نعرفها . كان لنا اخوة يعملون .. قالوا بأنهم سوف يضموننا في عيونهم . اخي الكبير جاء وقال لي : « خذ هذه النقود ، واذهب لتمسح نعليك » . وذهبت . الحزن لم اعرفه ، فأنا لا افهمه . ومرت سيارة مستشفى بيضاء مغسولة تحمل ميتا . كانت تحمل جثمان والدي. وسأل ماسح الاحذية : « من الميت أيها الصغير ؟! » قلت وأنا أبتسم : « كان ابي » .

وبعد ابي عرفت معنى الحزن واليتم . لندن زرعت حزنا وغربة في نفسي . انا يتيم من حب الناس الذين يعيشون في بلادي . لِمَ أتألم ؟ فهم الان ينامون مع زوجاتهم النظيفات . يتنفسون بهدوء مريح . وبائع الحليب القادم من جوبر او دوما يطرق أبوابهم في الصباح الباكر قائلا بلهجة جميلة : « صباح الخير خانم » . لِمَ أتألم ؟ وصديقي الذي يكتب قصصا حزينة ، يكرع العرق الحليب ، ويهمس للفتاة التي تجالسه بحزن أصيل : « قصتي القادمة ستكون عنك أيتها القرنفلة الحمراء » . لِمَ أتألم والجامعات في بلادي تخرج مئات المثقفين الذين يجلسون حول الموائد ويثرثرون حول معنى الحياة ، ويقذفون بكلمات مسجلة من ماركة السأم ، الضياع ، اللاجدوى ، اللاانتماء ، التمزق ، الغثيان ، الوجع . سارتر أيها الثرثار الكبير ، لونت الشباب في بلادي . لِمَ أتألم والشباب في بلادي يعملون ويعملون ، ولا يلتفتون الى عشاق السأم والضياع ؟!

امرأة انكليزية تتبختر من بعيد .. انها الان تحدثني قائلة :

ـ من المحزن ان تقضي ليلتك وحيدا مع أعمدة الكهرباء ، ورجال البوليس . غرفتي هنا ، سريرها واسع عريض ، وبابها خارجي لا يتصل بأحد . سنشتري قهوة تدفع ثمنها أنت .

ضحكت لها وقلت : ـ هل معك سيجارة ؟ أنا لا احمل نقودا .

تابعت سيرها ، وتركتني .

كم من الليالي الطويلة الباردة قضيتها مشردا ، أضرب في شوارع اوروبية متشابهة لا نهايات لها . الغربة تلازمني كقطع جليدية لا تعشق الذوبان . اخي الكبير يقود سيارته الاميركية الطويلة ، ويحمل ألعابا لاطفاله ، تكفي لان تمدني بحياة طويلة هنا. الرسالة التي وصلتني لم تكن منه .. كانت دينا قديما على انسان عمل معي اجيرا في مدرسة صباحية . ولادب فيهم اطلقوا علينا اسم « مدرسون » .

أذكر انني قابلت فتاة عربية كانت تدرس الرسم الزيتي في جنوا . وتعشق لوحات « فان غوخ » وتحب ألوان « غوغان » . قالت لي وهي ساهمة : « ياسين في عينيك ضباب كثيف لن تمحوه الايام » . وقبل ان تنفلت يدي من بين يديها ، قالت لي والبهجة تشرق من عينيها الواسعتين : « ياسين . يجب ان تبقى على اتصال معي ، فالحديث بيننا ممتع . لن اجد غيرك يحدثني عن الالوان . أنت جعلتني أحس بنفسي خفيفة كفراشة . الحياة كما قلت ، الوان . اليوم الذي نعيشه معا ، سألونه ، باللون البرتقالي الذي يشع بالحياة . الحياة كما قال « رامبو » يجب ان تعاش . الموت سيكون حلوا للانسان الذي يفكر ان القضية الاساسية في الفلسفة هي الانتحار ، كما كتب «كامو» . احيانا يا ياسين افكر بالمغادرة . ولكن أنا أحس الان بأن للحياة استمرارية متدفقة كجريان الانهار » .

وغادرت نهى الى جامعتها في بيروت ، وجئت انا الى لندن ، وكانت رسالتها الاولى قصيرة وحلوة « لِمَ سافرت ؟ كم كان رائعا ان نتحدث معا . الدراسة في الفلسفة مبهجة . ولكن أحاديثنا كلها بهجة وفرح » .

أذكر انني كتبت لها « يا نهى ، من نافذتي الكبيرة ، ذات اللون

الزجاجي المكسور ، يأتيني قمر هرم كسيح ، أنا هنـــا كئيب غريب . أفكر دوما ، بأن الانسان تنفلت منه الحيـــاة ، كالماء الذي يتسرب الى شقوق الارض اليابسة . كنت قد قلت لك ، بأن حياتي ثقوب ، ومـن هذه الثقوب تسربت الحياة » .

ومنذ سنة ، لم أعد أجد في عيني ظلا من شمس . ذهبت نهى . لم تعد تكتب الي كالاخرين . الحيـــاة أفرغت مني . فأنا كالزجاجـة الفارغة القابلة للانكسار كل لحظة . النور مات . لماذا مات يا نهى ؟؟

القاعد في غرفة انتظار المحطة خالية .. اخترت مقعدا في ركـن بعيد وجلست لانـــام . امرأة زنجية اخرى تقـوم بتنظيف المكان . المراحيض هناك تجلب دفئا أكثر . غسلت وجهي ، ورأيت عيني لاول مرة . الصفرة بقع كثيرة تحيط بالوجه العربي الذي أحمله . قصاصات من الورق ، تتطاير في ساحة المحطة المسقوفة بألواح زجاجية سميكة . اخذت جريدة قديمة من سلة شبكيـــة ، وذهبت لاقرأ . النوم ثقيل ولذيذ . السرير سيكون هذه الليلة ، طاولة قذرة عليها آثار قهـوة بالحليب . المرأة الزنجيـــة حملت لي فنجان شاي . ابتسمت لها بدفء . كانت أما .

نمت . كانت الدنيا ليلا شاحبا كوجه مريض . العيون كلهـا ، عيون المسافرين في قطار الساعة السادسة صباحا ، كانت تنظر الي . وانطلق الصفير ، وجاء بوليس شاب ، وبدأ يسأل السبعة أشخاص ، ممن قضوا الليلة معي في غرفة الانتظار ، عن نقود . وقد رأيته يعطي اكثر من واحـــد منا ، سيجـــارة وثمن كوب من الشاي الساخن . نظر الي طويلا ، وأحس بخجل أحمر . لم يوجه الي سؤالا ، ملابسي كانت جيـــدة ، ووجهي كان باسما ، وأمامـي تستلقي جريدة المساء السابق . ابتسم وذهب .

مرة ، عندما كنت في دمشق ، قالت لي أختي الصغيرة : ـ هل تدري يا ياسين ان عمتنا أخبرتني يوما ، بأن الناس منذ خمسين عاما كانوا يبكون بحرارة عندما يحل الليل .

ـ لماذا يا أخت ؟؟

ـ لان نهارا آخر مات من عمرهم .

في هـــذا الصباح ، عندما ذهبت لاغسل وجهي فـي مراحيض « بادينكتن » بكيت طويلا ، على خمس سنوات ، تسربت قطرة قطرة ، في مجاري المدن الاوروبية . وكنت أقف مع عامل المصعد في شـــارع « ريجنت » ، انتظر الساعة التاسعة .

قال لي أمين الصندوق :

ـ لم نرك منذ زمن طويل .

ـ لقد مت في غرفـــة صغيرة . ثم جـــاءتني رسالة فيها هذا الشيك . فأخرجتني للحياة مرة اخرى .

النقود في جيبي الان ، كثيرة . أوراق زرقاء طبعت عليها صـور الملكة ذات الفم الكبير . المعدة فارغة ، فارغة ، والمطعم الهندي يقدم لي طعاما عربيا شهيا .. كم هو جميل حقا ، ان تشعر بأن في جيبك نقودا كثيرة ! اشتريت جريدة « الاوبزرفر » ودجاجة كبيرة ، وأخذت طريقي الى محطة فكتوريا .

قلت لقاطع التذاكر وأنا أبتسم له :

ـ تذكرة ذهاب الى برايتون من فضلك .

وفي القطار ، لا أدري كيف جاءت كامات « فكتور » تموج كحرارة استوائية داخل عقلي . فقـــد سألت الحشرة البشعـة التي تعيش فيّ قائلا :

ـ ماذا فعلت البارحة ؟؟

قالت بسخرية قاتلة : ـ سأبقى طيلة عمري حشرة .

لندن

يوسف شرورو


# آخر منشورات «دار الاداب»

*** الحضارة العربية الجديدة وحتمية الثـــورة** ق.ل

تأليف انور قصيباتي ٢٠٠

*** طريق الانسان الجديد بين الحرية والاشتراكية**

تأليف احمد حيدر ٢٠٠

*** مع الامام علي من خلال نهج البلاغة**

تأليف خليل الهنداوي ٢٥٠

*** اصابعنا التي تحترق ( رواية )**

بقلم الدكتور سهيل ادريس ٤٠٠

*** مشكلـة الحب**

بقلم الدكتور زكريا ابراهيم ٥٠٠

*** قضايا الشعر المعاصر**

بقلم نازك الملائكة ٤٥٠

*** ازمة الجنس في الرواية العربية**

بقلم غالي شكري ٤٥٠

*** الاشتراكية والادب**

بقلم الدكتور لويس عوض ٣٥٠

*** الشعوبية والقومية العربية**

بقلم عبد الهادي الفكيكي ١٥٠